والصراط المستقيم : المحجة التي لا التواء فيها . وأطلق هنا على العمل الصالح لأن العمل يشبه بالسيرة والسلوك فإذا كان صالحا كان كالسلوك في طريق موصلة للمقصود واضحة فهو لا يستوي مع من لا يعرف هدى ولا يستطيع إرشادا بل هو محتاج إلى من يكفله .

فالأول مثل الأصنام الجامدة التي لا تفقه وهي محتاجة إلى من يحرسها وينفض عنها الغبار والوسخ والثاني مثل لكماله تعالى في ذاته وإفاضته الخير على عباده .

(و غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن ا على كل شيء قدير [77]) كان مما حكي من مقالات كفرهم أنهم أقسموا با لا يبعث ا من يموت لأنهم توهموا أن إفناء هذا العالم العظيم وإحياء العظام وهي رميم أمر مستحيل وأبطل ا ذلك على الفور بأن ا قادر على كل ما يريده .

البيان وتسلسل والقدرة الوحدانية على الدلائل بسط إلى ذلك عقب الكلام انتقل ثم A E وتفننت الأغراض بالمناسبات فكان من ذلك تهديدهم بأ ا لو يؤاخذ الناس بظلمهم ما ترك على الأرض من دابة ولكنه يمهلهم ويؤخرهم إلى أجل عينه في علمه لحكمته وحذرهم من مفاجأته فثنى عنان الكلام إلى الاعتراض بالتذكير بأ ا لا يخرج من قدرته أعظم فعل مما غاب عن إدراكهم وأن أمر الساعة التي أنكروا إمكانها وغرهم تأخير حلولها هي مما لا يخرج عن تصرف ا ومشيئته متى شاءه . فذلك قوله تعالى (و غيب السماوات والأرض) بحيث لم يغادر شيئا مما حكي عنهم من كفرهم وجدالهم إلا وقد بينه لهم استقصاء للأعذار لهم .

ومن مقتضيات تأخير هذا أنه يشتمل بصريحة على تعليم وبإيمائه إلى تهديد وتحذير .

فاللام في قوله (و غيب السماوات والأرض) لام الملك . والغيب : مصدر بمعنى اسم الفاعل أي الأشياء الغائبة . وتقدم في قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) . وهو الغائب عن أعين الناس من الأشياء الخفية والعوالم التي لا تصل إلى مشاهدتها حواس المخلوقات الأرضية .

والإخبار بأنها ملك يقتضي بطريق الكناية أيضا أنه عالم بها .

وتقديم الجرور أفاد الحصر أي له لا لغيره . ولام الملك أفادت الحصر فيكون التقديم مفيدا تأكيد الحصر أو هو للاهتمام .

وأمر الساعة : شأنها العظيم فالأمر : الشأن المهم كما في قوله تعالى (أتى أمر ا) وقوله أبي بكر " Bه " : ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر) أي شأن وخطب .

والساعة : علم الغلبة على وقت فناء العالم وهي من جملة غيب الأرض .

ولمح البصر : توجهه إلى المرئي لأن اللمح هو النظر . ووجه الشبه هو كونه مقدورا بدون كلفة لأن لمح البصر هو أمكن وأسرع حركات الجوارح فهو أيسر وأسرع من نقل الأرجل في المشي ومن الإشارة باليد .

وهذا التشبيه أفصح من الذي في قول زهير .

" فهن ووادي الرس كاليد للفم ووجه الشبه يجوز أن يكون تحقق الوقوع بدون مشقة ولا أنظار عند إرادة ا تعالى ووقوعه وبذلك يكون الكلام إثباتا لإمكان الوقوع وتحذيرا من الاغترار بتأخيره .

ويجوز أن يكون وجه الشبه السرعة أي سرعة الحصول عند إرادة ا أي يحصل فجأة بدون أمارات كقوله تعالى (لا تأتيكم إلا بغتة) .

والمقصود : إنذارهم وتحذيرهم من أن تبغتهم الساعة ليقلعوا عما هم فيه من وقت الإنذار . ولا يتوهم أن يكون البصر تشبيها في سرعة الحصول إذ احتمال معطل لأن الواقع حارس منه .

و (أو) في (أو هو أقرب) للإضراب الانتقالي إضرابا عن التشبيه الأول بأن المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به فالمتكلم يخيل للسامع أنه يريد تقريب المعنى إليه بطريق التشبيه ثم يعرض عن التشبيه بأن المشبه أقوى في وجه الشبه وأنه لا يجد له شبيها فيصرح بذلك فيحصل التقريب ابتداء ثم الإعراب عن الحقيقة ثانيا .

ثم المراد بالقرب في قوله تعالى (أقرب) على الوجه الأول في تفسير لمح البصر هو القرب المكاني كناية عن كونه في المقدورية بمنزلة الشيء القريب التناول كقوله تعالى (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) .

وعلى الوجه الثاني في تفسيره يكون القرب قرب الزمان أي أقرب من لمح البصر حصة أي أسرع حصولا .

والتذييل بقوله تعالى (إن ا على كل شيء قدير) صالح لكلا التفسيرين